العطية الهنية

والوصية المرضية

لبركة الأنام وعلم الإسلام القطب

الحبيب علي بن حسن بن عبد الله الحسيني الحضرمي العطاس باعلوي

نفع الله تعالى به

ويليه له

خلاصة المغنم وبغية المهتم باسم الله الأعظم

مطبعة المدني

المؤسسة السعودية بمصر

٦٥ شبرسيس - القاهرة ت ١٩٥١

« الدِّينُ النَّصيحةُ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، حمداً يُوافى نعمهُ ، وَيُكافىءُ مزيدهُ ، أرحمِ الراحمينَ الذى يرحمُ الرحماءَ منْ عبادهِ ، فى أقطارِ بلادهِ ، وصلَّى اللهُ على نبيهِ السيدِ الفصيحِ ، ذى القلبِ النصيحِ ، والوجهِ الصبيحِ ، والصدْرِ الفسيحِ ، والدِّينِ الصحيحِ الذى هوَ النصيحةُ للهِ ولهُ ولكتابِ اللهِ ولأئمةِ المسلمينَ وعامَّتهمْ ، وعلى آلهِ الطيبينَ الطاهرينَ بشهادةِ ربِّ العالمينَ ، المنزَّهينَ عنْ كلِّ ما يَشينُ ، المخصوصينَ بأعْلَى مراتبِ اليقينِ ، المفضَّلينَ بالصدقِ والتمكينِ المكينِ ، وصحبهِ الهادينَ المهتدينَ ، المقيمينَ معالمَ الدينِ ، الكبراءِ الأمراءِ ، الوزراءِ الناصحينَ ، الفقراءِ ﴿للمهاجرينَ الذينَ أُخرجوا منْ ديارهمْ وأموالهمْ يبتغونَ فضلاً منَ اللهِ ورضواناً ، وينصرونَ اللهَ ورسولَهُ أولئكَ همُ الصادقونَ ، والذينَ تبوَّءوا الدارَ والإيمانَ منْ قبلهمْ يحبُّونَ منْ هاجرَ إليهمْ ولا يجدونَ فى صدورهمْ حاجةً مّما أُوتوا

ويؤثرونَ على أنفسهمْ ولوْ كانَ بهمْ خَصاصةٌ[١] ومنْ يُوقَ شُحَّ نفسهِ فأولئكَ همُ المفلحونَ ، والذينَ جاءوا منْ بعدهمْ يقولونَ ربنا اغفرْ لنا ولإخوانِناَ الذينَ سبقونا بالإيمانِ ولا تجعلْ فى قلوبنا غِلاً للذينَ آمنوا ربنا إنكَ رءوفٌ رحيمٌ ﴾ وسلَّمَ تسليماً كثيراً .

« وبعدُ » : فيأيُّها الأخُ الصالحُ ، الأودُّ الناصحُ[٢] ، إنى أوصيكَ ونفسى بتقوى اللهِ وصيةَ ربِّ العالمينَ ، فى كتابهِ المبينِ ، للأولينَ والآخِرينَ ، وهىَ عبارةٌ عنِ اجتنابِ ما نهى اللهُ عنه ، وفعلِ ما أمرَ اللهُ به . وشَرْحُ ذلكَ واضحٌ منَ الكتابِ العزيزِ والسنةِ الغرَّاءِ ، وأقوالِ السلفِ والخلفِ ؛ فليسَ تحتاجُ بعدَ العِيانِ إلى بيانِ .

* * *

ثمَّ الذى أُوصيكَ بهِ وأحرِّضكَ عليهِ : أن تتخلقَ بالرحمةِ التامةِ لخلقِ اللهِ عامةً منْ آدمِيِّ وغيرِهِ ، لا سيما المسلمينَ ؛ فعاملهمْ بالشفقةِ الكاملةِ ، حتى من يعاديكَ ويحسُدُكَ ، فإنَّ الإنسانَ ضعيفٌ فاشهدْ حقيقةَ ضعفهِ وضعفَ ضعفهِ وارحمْهُ ، ولو كانَ فى حالِ عداوتهِ لكَ ، فإنما يرحمُ اللهُ منْ عبادهِ الرحماءَ ، منْ لا يَرحمْ لا يُرحمُ ، ارحمْ منْ فى الأرضِ ، يرحمْكَ منْ فى السماءِ :

---

(١) الخصاصة بالفتح : الفقر والحاجة (٢) الناصح : الخالص الود .

إرحمْ عبادَ اللهِ يرحمْكَ الذى
عمَّ الورى إفضالُهُ ونوالُهُ
الراحمونَ لهمْ نصيبٌ وافرٌ
منْ رحمةِ الرحمنِ جلَّ جلالُهُ

* * *

وعاملْ جميعَ الخلقِ بأنْ تكُفَّ عنهم شرَّكَ ، فإنَّ اللهَ يكُفُّ عنكَ شرَّهمْ ؛ فقدْ رُوِىَ فى الأثرِ عنْ سيدِ البشرِ : « منْ أرادَ السلامةَ فليَطلبْها فى سلامةِ غيرِهِ منهُ » . وأنوِ الخيرَ لجميعِ المسلمينَ ؛ فإنهُ قدْ وردَ فى الحديثِ : « نيةُ المرءِ خيرٌ منْ عملِهِ » ، ووردَ أيضاً : « إنما الأعمالُ بالنياتِ » الحديثَ .

ولا تُضمرْ شراً ، ولا تستبطنْ غِلاً وغِشًّا لأحدٍ منَ المؤمنينَ ؛ فإنَّ منْ كانتْ هذهِ صفتهُ ، وطَهُرتْ طويتُهُ ، وصفا باطنهُ عنِ الغِلِّ والغِشِّ والحِقدِ على المسلمينَ يكونُ أعبدَ أهلِ الأرضِ ، ويكونُ نومُه عبادةً .

* * *

بهذا جاءتِ الأخبارُ عنِ السيدِ المختارِ . ثمَّ أتلو عليكَ ما تلاهُ الرحمنُ على لسانِ صِدِّيقِهِ لقمانَ فيما أوصى بهِ ابنَهُ حيثُ يقولُ :

﴿ يا بُنيَّ لا تُشركْ باللهِ إنَّ الشركَ لظلم عظيم ﴾ ويقول : ﴿ يا بُنيَّ إنها إنْ تكُ مثقالَ حبَّةٍ من خردلٍ فتكنْ في صخرةٍ أوْ في السموات أوْ في الأرضِ يأتِ بها اللهُ إنَّ اللهَ لطيفٌ خبير ، يا بُنيَّ أقمِ الصلاةَ وأمُرْ بالمعروفِ وانهَ عنِ المنكرِ واصبرْ على ما أصابكَ إن ذلكَ منْ عزمِ الأمورِ ، ولا تُصعِّرْ خدَّكَ للناسِ[1] ولا تمشِ في الأرضِ مَرحاً[2] إنَّ اللهَ لا يحبُّ كلَّ مختالٍ فخورٍ ، واقصِد في مشيِكَ واغضُضْ منْ صوتكَ إنَّ أنكرَ الأصواتِ لصوتُ الحميرِ ﴾ .

* * *

وكنْ منْ عباد الرحمنِ ﴿ الذينَ يمشونَ على الأرضِ هَوْناً[3] وإذا خاطبهمُ الجاهلونَ قالوا سلاماً ، والذينَ يبيتونَ لربهمْ سجَّداً وقياماً ، والذينَ يقولون ربَّنا اصرفْ عنَّا عذابَ جهنمَ إنَّ عذابها كان غَراماً[4] ﴾ . ﴿ والذينَ إذا أنفقوا لمْ يسرفوا ولمْ يقتُروا وكان بين ذلكَ قَواماً[5] ، والذين لا يَدعونَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ ولا يقتلون النفسَ التي حرمَ اللهُ إلا بالحقِّ ولا يزنونَ ومنْ يفعلْ ذلكَ يلقَ أثاماً ﴾[6] . ﴿ والذينَ لا يشهدونَ الزورَ وإذا مرُّوا باللغوِ مرُّوا كِراماً ،

---

(١) لا تمل وجهك عن الناس كبرا وتعاظما .

(٢) فرحاً وبطراً وخيلاء .　　　(٣) بسكينة ووقار وتواضع .

(٤) لازماً ممتداً .　　　(٥) عدلا وسطا .　　　(٦) عقاباً وجزاء .

والذينَ إذا ذُكِّرُوا بآياتِ ربهمْ لَمْ يخرُّوا عليها صُماً وعُمياناً ، والذينَ يقولونَ ربنا هبْ لنا منْ أزواجنا وذرِّياتنا قرَّةَ أعينٍ ، واجعلنا للمتقينَ إماماً ﴾ .

* * *

والحذَرُ كلُّ الحذرِ منَ الكلامِ الفاحشِ ؛ فإنَّ الكلامَ الفاحشَ لا ينقُصُ إلاَّ منْ قالهُ ، لا منْ قيلَ فيهِ ، ولو كان فيهِ ـ كذلكَ الكلامُ الطيبُ لا يشرِّفُ إلاَّ قائلَهُ ؛ كما قالَ تعالى : ﴿ الخبيثاتُ للخبيثينَ ، والخبيثونَ للخبيثاتِ ، والطيباتُ للطيبينَ ، والطيبونَ للطيباتِ ﴾ . فلا تُجيبُ إلا بما يَزينُكَ ، ولا تكافىء إلا بما يشرِّفُكَ .

والحذَرُ ثمَّ الحذَرُ منَ العجلَةِ بدفعِ العدوِّ بغيرِ ما أمرَ اللهُ بهِ منْ قولهِ : ﴿ ولا تستوى الحسنةُ ولا السيئةُ ادفعْ بالتى هىَ أحسنُ فإذا الذى بينكَ وبينهُ عداوةٌ كأنهُ ولىٌّ حميم ﴾ ، ﴿ وإما ينزغَنَّكَ منَ الشيطانِ نزغٌ (١) فاستعذْ باللهِ إنه هوَ السميعُ العليمُ ﴾ . ﴿ خُذِ العفوَ وأمرْ بالعُرفِ وأعرِضْ عنِ الجاهلينَ ﴾ فإنْ قلتَ : إذا فعلتُ ذلكَ ربما يزدادُ العدوُّ جراءةً علَيَّ ؛ فاعلمْ أنَّ اللهَ أعلمُ منكَ بعواقبِ الأمورِ ، وهوِ بعبادهِ خبيرٌ بصير .

---

(١) يصيبنك منه وسوسة .

قالَ الشاعرُ :

بمكارمِ الأخلاقِ كنْ متخلقاً
ليفوحَ مسكُ ثنائكَ العطرِ الشَّذِى[١]
وانفعْ صديقَكَ إنْ أردتَ بقاءَهُ
وادفعْ عدوَّكَ بالتى فإذا الذى

***

وَكنْ مَعَ اللهِ كأنْ لاَ خلقَ ، وَكنْ مَعَ الخلقِ كأنْ لاَ نفسَ ، وَازهدْ فى الدنيا يحبُّكَ اللهُ ، وَازهدْ فيما فى أيدِى الناسِ يحبُّكَ الناسُ ، وَلاَ تحزَنْ ، وَلاَ تشجَنْ[٢] ، وَلاَ تهتمَّ منَ الإعراضِ منهمْ عنكَ ، والاعتراضِ عليكَ فى المقاصدِ الحسنةِ التى تقصِدُ بها وجهَ اللهِ الكريمِ ، مما يعودُ نفعهُ على الخاصةِ ، أو الكافةِ ، والعامةِ ؛ فإنهمْ فى الغالبِ يُعْرِضونَ عنكَ ، ويعترضونَ عليكَ ، وذلكَ بواسطةِ الشيطانِ ينفِّرهُمْ عمَّا يعودُ صلاحهُ إليهمْ ؛ لأنهُ يكرهُ تآلفَ المؤمنينَ وتناصرَهمْ ، واجتماعَ كلمتهمْ .

***

والحذرُ منَ الضَّجرِ ، وأنْ تقولَ لكَ نفسُكَ : كيفَ تجتهدُ

---

(١) الشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة .
(٢) الشجن ـ محركة ـ : الهم والحزن .

فيما ينقصهم مع العقوقِ الشنيعِ ، وكفرانِ الصنيعِ ، والخلافِ الفظيعِ ؛ فإنَّ ذلكَ مِمَّا جُبِلَ الإنسانُ عليهِ حتى في معاملةِ الحقِّ جلَّ وعلا ، وهوَ الذي خلقهُ ورزقهُ ، ألَمْ تسمعْ إلى قولهِ تعالى : ﴿ قُتِلَ الإنسانُ ما أكفرَهُ ﴾ ، وقولهِ تعالى : ﴿ إنَّ الإنسانَ لربهِ لَكنودٌ ﴾[1] .

وتدبَّرْ وتفهَّمْ ماقد ابتُلِيَ بهِ الأنبياء منْ إنكارِ أتباعهمْ عليهمْ؛ مثلُ قصصِ آدمَ معَ بنيهِ، وشيثٍ معَ قومهِ، ونوحٍ إذ قالَ لقومه : ﴿ يا قوم إنْ كانَ كبُرَ عليكمْ مقامي وتذكيري بآياتِ اللهِ فعلى اللهِ توكَّلتُ فأجمِعوا أمرَكمْ وشركاءكمْ ﴾ الآيةَ، وهودٍ وصالحٍ معَ قومهما، وإبراهيمَ معَ النمروذِ ، وأبيهِ ، ويعقوبَ معَ أخيهِ ، ويوسفَ معَ إخوتهِ ، وأيوبَ وما ابتُلِيَ بهِ ، وموسى معَ بني إسرائيلَ بعدَ مانجوْا من البحرِ ، وبعد ماسمِعوا كلامَ الحقِّ حيثُ قالوا : ﴿ أرِنَا اللهَ جَهرةً ﴾ وغيرِ ذلك من الوقائعِ لهُ معهمْ ممَّا لايحصى [وعيسى][2] معَ أصحابِ المائدة وغيرهمْ ، ومحمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلم معَ قومهِ ، ثمَّ معَ أصحابهِ: كيوم الحديبيَةِ ، ويومِ القسمةِ؛ حتى قال: رحِمَ اللهُ أخي موسى لقد أُوذِيَ بأكثرَ منْ هذا فصبرَ . ثمَّ ما جرَى لأبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنه بعدَ موتِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ معَ الصحابةِ خاصةً ، ثمَّ

---

(١) الكنود : الجحود . (٢) زيادة يقتضيها السياق .

معَ أهلِ الرِّدةِ ، ثمَّ ما جرى للصحابةِ رضىَ اللهُ عنهمْ منْ مقاساةِ أجلافِ الناسِ على كثرةِ اختلافِ المقاصدِ والأجناسِ ، ثم التابعينَ وتابعيهمْ إلى يومنا هذا ؛ فلكَ فيهم أسوةٌ وبهمْ قدوةٌ ﴿ لقدْ كانَ لكمْ فى رسولِ اللهِ أسوةٌ حسنةٌ ﴾ الآيةَ وغيرَها .

وقد رأيتُ الفقيهَ العلاَّمةَ عمرَ بنَ عبدِ اللهِ با مخرمةَ أشارَ إلى الجملِ منْ ذلكَ فى قصيدةٍ واحدةٍ ، وهىَ التى يقولُ فى أوَّلها :

يا ضَنيني ضَنا حالى ولا أطمعْ بحيلهْ

حيلةُ العبـدِ فيما قدَّرَ اللهُ قليلهْ

فتدبَّرْهاَ وتفهَّمها تَرْشُدْ إن شاء اللهُ .

* * *

وعليكَ بالصبرِ على جفاءِ الجافينَ ، وإحفاءِ المحافِّينَ(١) ، لا سيَّما القرابةُ ، ثمَّ الأصهارُ ، ثمَّ الجارُ ، ثمَّ المعامَلُ ، ثمَّ المعارفُ ، ثمَّ صاحبُ البلدِ ؛ فإنَّكَ ترى منْ هؤلاءِ فى غالبِ الأحوالِ ما لا يسرُّكَ ، فافعلْ أنتَ معهمْ ما لا يضرُّكَ ، بلْ يزيدُ فى رفعةِ قدرِكَ ، خصوصاً العشيرةَ ، والأقربَ فالأقربَ منْ لُحمةِ النَّسَبِ ، فإنِ استطعتَ المزاورةَ دونَ المجاورةِ فافعلْ ، فبهذا وردَ الحديثُ .

ووردَ أيضاً : « اجتنبوا مجالسَ العشيرةِ »(٢) فإنْ بُليتَ بالمزاحمةِ

---

(١) يقال : أحفاه إذا سأله فأكثر عليه فى الطلب . (٢) فى الجامع الصغير .

دونَ المراحمةِ ، فعليكَ ثمّ عليكَ بالصّبرِ ، وهوَ الحلمُ عن الزلاتِ ، والعفوُ عنِ العثراتِ ولزومُ المداراةِ ، وتركُ المماراةِ والمباراةِ : —

ما دمتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهمُ
فإنمــا أنتَ فى دارِ المداراةِ
منْ يدرِ دارَى ومنْ لمْ يدرِ سوفَ يُرى
عمّـا قليــلٍ قريناً للنّــداماتِ

* * *

وإذا بلغكَ عنْ إنسانٍ أمرٌ ، ونُقلَ إليكَ منهُ قولٌ ممّا يؤذيكَ أوْ ينقُصكَ ؛ فلا تبادرْ إلى المكافأةِ وصدورِ الجفاةِ منْ غيرِ تثبُّتٍ ، فإنّ الغالبَ على غالبِ الناسِ فى هــذا الزمانِ التزويرُ والبهتانُ ، ونقلُ ما شانَ دونَ ما زانَ ، وقدْ قالَ الملكُ الديّانُ يخاطبُ أهلَ الإيمانِ : ﴿ يأيها الذينَ آمنوا إنْ جاءكمْ فاسقٌ بنبأٍ فتبيَّنوا أن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصبحوا على ما فعلتُمْ نادمينَ ﴾ .

* * *

وعليكَ بمجانبةِ الرِّياءِ والكبرِ والعُجْبِ ، وسوءِ الظّنِّ بالناسِ ، والحسدِ والوّسواسِ ، فإنَّ هذهِ الأخلاقَ شيطانيةٌ .

أمّا الرِّياءُ : فأنْ تعملَ عملاً لأجلِ الخلقِ فهوَ شركٌ بغيرِ

شكٍ ، وناهيكَ بها حماقةً أنْ تشركَ معَ اللهِ منْ لاَ ينفعُ ولا يضرُّ ؛ معَ أنه لوْ علمَ أنكَ تقصدِه بهذا العملِ سقطتَ منْ عينهِ .

وأمّا الكِبْرُ : فيمنعُكَ منهُ أنْ تتفكّرَ منْ أيْنَ أصْلُكَ ! وعلى أيِّ حالٍ أنتَ ! وإلى أيِ شيء تصيرُ ! أليسَ أوّلُكَ نطفةً مذِرَةً[1] ، وبينَ جنبيكَ العذِرةُ ، ومصيرُكَ جيفة قذِرَة .

وأمّا العُجبُ والحسدُ : فهمَا خُلُقَانِ منْ خُلُقِ إبليسَ لعنهُ اللهُ تعالى ومنْ تبعهُ فيهما ؛ فإنه لمَّا أعجبَتْهُ نفسهُ استكبرَ وكفرَ ، وقالَ : أنا خيرٌ منهُ . ثمَّ إنه لمَّا رأى ما أنعمَ الله بهِ على آدمَ عليهِ السّلاَم غاظَهُ ذلكَ ، فحسَدهُ عليهِ ، فلمْ ينلْ إلاَّ الطَّرْدَ والبعدَ منَ اللهِ .

وأمّا آدَمُ : فحصلَ لهُ التقريبُ والاجتباء والاصطفاء ؛ فافهمْ تسلمْ وتغنمْ . ولا تكرَهنَّ ما منَّ اللهُ بهِ منْ فضلهِ على منْ يشاء منْ خلقهِ ، واعرِفْ قدْرَكَ ، ولاَ تتعدَّ طَورَكَ ، وحقِّقْ وتحقّقْ أنكَ عبدٌ ضعيف ، لا تملكُ لنفسكَ ولا لغيركَ نفعاً ولا ضرًّا ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ؛ فإذا علمْتَ ذلكَ سلِمْتَ وسلِمْتَ ، وتدبَّرْ قولَهُ تعالى : ﴿ ما يفتحِ اللهُ للناسِ منْ رحمةٍ فلاَ ممسكَ لها

(١) قذرة مستكرهة .

وما يُمسكْ فلا مُرسلَ له منْ بعدهِ ﴾ ، وقولَهُ : ﴿ قُلْ اللهم مالكَ الملكِ تؤتى الملكَ منْ تشاء وتنزِعُ الملكَ ممّنْ تشاء وتعزُّ منْ تشاء وتذلُّ منْ تشاء بيدكَ الخيرُ إنَّكَ على كلِّ شيء قديرٌ . تولجُ الليلَ فى النهارِ وتولجُ النهارَ فى الليلِ وتُخرجُ الحىَّ منَ الميِّتِ وتُخرجُ الميِّتَ منَ الحىِّ وترزقُ منْ تشاء بغيرِ حسابٍ ﴾ .

***

والحذرُ كلُّ الحذرِ منَ الكذبِ ؛ فإنَّ الكاذبَ ملعونٌ بنصِّ الكتابِ .

ومَن أطلَقَ لسانَه بتعاطي الكذبِ سقطت عدالتُه ، ورُدَّت مقالتُه ، ونقص مقدارُه ، وكُذِّبت أخبارُه ، وازدراه الناسُ ، وهان بين سائرِ الأجناسِ ؛ فالحذرَ من الكذبِ بالكليَّة .

واجتنب ما يوجب النُّقصانَ والخَلِيَّة[1] ، لا تتعاطاه جِدًّا ولا هزلا ، ولا يقظةً ولا مناماً ؛ بأن تقول : رأيت كذا ولم تَرَه ، ففى الحديث : « مَن كذَب على عينه بما لم تَرَه كُلِّفَ أن يَعقِدَ بين شعيرتين من نار ، ومن استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهم له كارهون ، صُبَّ فى أذنيه الآنُكُ ـ وهو الرصاص المذاب » الحديث .

---

(١) من قولهم : خلا به إذا سخر منه .

ولا تخبِرْ عن الكذابين ؛ فإن ذلك يُنسَب إليك ويعود ذمُّه عليك ، وفى صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذباً أن يُحدِّث بكلِ ما سمع » . وإذا أردتَ مِصداقَ ما قلت ، فاسمع ما يقوله الناس فى المجالس إذا قيل لهم : قال فلان كذا ، فإن كان من أهلِ الصدقِ لم تسمعْ من يطعن عليه ، وإن كان من أهل الكذبِ لم يُقبَل ما قال ولو كان صادقاً ؛ فاختر لنفسِك أيَّ الطريقين شئتَ .

وبالجملة ـ فلزُوم الصمتِ هو الأَولى والأحَقُّ على كل حالٍ ؛ قال عيسى عليه السلام : « إذا كان الكلامُ من فضّة كان الصمت من ذهب » .

وقال الشاعر :

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانِهِ
وليس يَخافُ الموتَ من عثرة الرِّجلِ
فعثرتُه فى القولِ تُذهِب رأسَه
وعثرتُه بالرِّجل تَبرا على مَهْل

وقال آخر :

احفظ لسانَك أيها الإنسانُ
لا يلدغنَّك إنه ثُعبانُ

كم في المقابرِ مِن قتيلِ لسانِهِ
كانت تهابُ لقاءه الشجعانُ

وقال آخر :

إن اللسانَ صغيرٌ جِرمُـه وله
جُرمٌ كبيرٌ كما قد جاء في المَثَلِ
فكم ندمتُ على ما كنتُ قلتُ به
وما ندمتُ على ما لم أكن أقُلِ

وفي الحديث : « وهل يكبُّ الناسَ في النارِ على مناخرِهم إلا حصائدُ ألسنتِهم » . وكان الصِّديق رضي الله عنه يضع حجراً في فيه يمنعه الكلام ، ويقول : هذا الذي أوْرَدَني المواردَ ؛ يشير إلى لسانِه .

ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فلان قُتل شهيداً ، هنيئاً له بالجنة ، أو كما قيل : قال صلى الله عليه وسلم لذلك القائل : « ما يدريكَ لعله كان يتكلمُ فيما لا يَعنيه ، ويبخلُ بما لا يُغنيه » . وفي الحديث الصحيح الذي قيل إنه قاعدة من قواعد الإسلام : « مِن حُسنِ إسلام المرءِ تركُه مالا يعنيه » .

وإذا أردتَ سفراً قريباً أو بعيداً فاكتمْه وباكرْ به ، وإنِ اتفق في يوم الاثنين أو الخميس فهو حسَنٌ ، وإلا فأيامُ اللهِ كلُّها مباركةٌ ، واقرأ قبل أن تخرجَ من البيتِ آيةَ الكرسي ودعاء الكرب

المشهور ، ثم اكتب الحروفَ التى هى أوائلُ سُوَر القرآن واحملْها معك ، فإن لها سرًّا عظيماً فى الجلبِ والدفعِ .

وإذا أردت الركوبَ فى البحرِ فاكتبْها على خزفٍ أو حصاةٍ وألقِها فى البحرِ قبيل الركوبِ تَرَ عجباً من التيسيرِ ، وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ . ﴿ الٓمٓ – الله ﴾ . الٓمٓصٓ . الٓر . الٓر . الٓمٓر . الٓر . الٓر . الٓر . كٓهيعٓصٓ . طٓه . طٓسٓمٓ . طٓسٓ . طٓسٓمٓ . الٓمٓ . الٓمٓ . الٓمٓ . الٓمٓ يٓسٓ . صٓ . حٓمٓ . حٓمٓ . حٓمٓ عٓسٓقٓ . حٓمٓ . حٓمٓ . حٓمٓ . حٓمٓ . قٓ . نٓ والقلمِ ومايسطرون . انتهت .

ثم إذا خرجتَ فأكثِرْ من قراءةِ سورةِ قريش . وليكُنْ من شأنِك ، ومما يعتنى به جَنانُك ، وتعمل فيه أركانُك ، وتقصدد بكلّية إنسانِك ، وتعضّ عليه بنواجذِ أسنانِك ، وتملأْ به زوايا مكانِك وتجدُّ فيه بغايةِ إمكانِك طلبُ العلمِ الشريفِ قاصداً بذلك وجهَ الله الكريمِ ، والتفقهَ فى دين الله ، لا لغرضٍ آخر من الحظوظِ الفانيةِ ، والمقاصدِ الدنيَّةِ ، فإن العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ ، كما ورد . قال تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأُولو العلم) ، وقال : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجات) ، (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من تفقه

فى الدين كفاه الله همّه ورزقه من حيث لا يحتسب » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى تكفّل لطالب العلم برزقه » .

وقال سيدنا عبدُ الله الحداد بعد إيراد هذا الحديث : وهذا تكفّلٌ خاص بعد التكفل العام الذى تكفّل الله به لكل دابة فى الأرض ؛ فيكون معناه زيادة التيسير ودفع المؤنة والكلفة فى طلب الرزق وحصوله ، والله أعلم ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من جاءه الموتُ وهو يطلب العلمَ ليُحيي به الإسلامَ لم يكن بينه و بين الأنبياء إلا درجةُ النبوّة » .

واعلم أن العلم بحرٌ متلاطمٌ لا آخرَ له . قال ابن لقمان لأبيه : مَن يحيط بكل العلم ؟ قال : كل الناس ، هذا فيما أوتوا ، وقد قال الله تعالى : (وما أُوتيتم من العلم إلا قليلًا) . فينبغى لك أن تُقدّم الأهمّ فالأهم ، فتبتدىء أولاً بأخذ المختصرات ، مثل : مختصر الشيخ أبى شجاع[١] المعروف ، مع القراءة فى كتاب : بداية الهداية[٢] ، لحجة الإسلام الغزالى ، وكتابِ الأذكار للشيخ محيي الدين يحيي النووى ، وكتابِ المنهاج له ، وشرحه : على حسب ما أمكن وساعدَ عليه الزمن ، ـ وكتابِ الرسالة للشيخ عبد الكريم بن هوازن القُشيرى

---

(١) فى فقه الشافعية وكذا نظائره فى المذاهب الأخرى . وكذا المنهاج .

(٢) فى التصوف والآداب . وكذا الرسالة القشيرية .

فإنّها عُمدةٌ في تحقيقِ الطَّريقِ ، وكذلكَ مصنفاتُ سيدِنا القطبِ عبدِ اللهِ بنِ علوى الحدادِ ، وقدْ أحسنَ في تهذيبِها وأجادَ ، لا سيما كتابُ النصائحِ لهُ ، والعوارفُ للشيخِ عُمرَ بنِ مُحمد السُّهْرَوَرْدي (١) ، وإحياءُ علُومِ الدينِ للإمامِ حجةِ الإسلامِ الغزالى .

وتأخذُ في علومِ القرآنِ ، وآلاتِ معرفةِ معانيهِ بعدَ الاجتهادِ في حفظهِ للفضلِ الواردِ في ذلكَ ، ولوْ لمْ يكنْ إلا قولُهُ تعالى : ﴿ بَلْ هوَ آياتٌ بيِّناتٌ في صدورِ الذينَ أُوتُوا العِلْمَ ﴾ ، وقولُهُ صلى الله عليه وسلم : « منْ حفظَ القرآنَ أُدرجتِ النبوَّةُ بينَ جنبيهِ إلا أنهُ لا يوحى إليهِ » لكَفَى ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ . « لوْ كانَ هذا القرآنُ في إهابٍ ما مستهُ النارُ » ، وفي مناجاةِ موسى في وصفِ أمةِ مُحمدٍ صلى الله عليه وسلم : أناجيلُهمْ في صدورِهمْ ، وغيرُهمْ يقرأُ منَ المصاحفِ ، وقالَ الإمامُ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : لوْ تصدقَ إنسانٌ بصدقةٍ للقراءِ صُرفتْ إلى الحُفَّاظِ ، ولو تصدقَ بصدقةٍ لِأعقلِ الناسِ صُرفتْ إلى الزُّهَّادِ في الدنيا .

ومنْ أهمِّ ما نشيرُ بهِ عليكَ منَ التفاسيرِ للقرآنِ : تفسيرُ الإمامِ الحسينِ بنِ مسعودٍ الفرَّاءِ البغويِّ ؛ فإنهُ عُمدةٌ في تحقيقِ

---

(١) فى التصوف والأخلاق وكذا الإحياء وحكم ابن عطاء الله وشروحها .

ذلك(١) ، وقدْ كانَ سادتُنا وسلفنا آلُ أبي عَلوى يُحرِّضونَ على القراءةِ فيهِ جدًّا ، وهوَ جديرٌ بذلكَ كما قيلَ : عينهُ فرّارَة ، وشاهدهُ اصفرارُه .

وليكُنْ لكَ مطلبٌ فيما أمكنَ أنْ تطلُبَ منْ كتبِ الأدبِ كالنحوِ واللغةِ وغيرِها ، ولا تسكرهنَّ المطالعةَ فى كتابِ : مقاماتِ الحريرى بعدَ العبورِ(٢) فيها على شيخٍ يبينُ لكَ معانيها ، فإنها ممَّا اعتنى بها السلفُ . قالَ الشيخُ أحمدُ بنُ عُجَيْلٍ : مقاماتُ الحريرى طَبَقُ الحَلْوَى ، وقد جربنا النفعَ والانتفاعَ بها ـ وكتاب المُلحَةِ لهُ ، فقدْ قيلَ إنهُ أودعَ سرَّ كتبهِ فيها ، ولها شروحٌ : منْ أنفعها شرحُ الشيخِ دِعـينٍ ، وكتابِ الجزريَّةِ وشرحِها ، وكتابِ مغنى اللبيبِ عنْ كتبِ الأعاريبِ ، للشيخِ جمالِ الدينِ عبدِ اللهِ بنِ يوسف ابنِ هِشَامِ الأنصاريِّ الحنبليْ ، فإنهُ كتابٌ كاملٌ ، وسفرٌ شامل ، وبحرٌ بعيدُ السَّاحلِ ، وكنزٌ فى بابهِ فاضل ، وعِلْمٌ محقَّق حاصل .

ومنْ كتبِ السِّيَرِ : الاكتفى لِلْكَلاعى ، وسيرةُ ابنِ سيدِ الناسِ ، فإنهما سببُ التقدمِ وقدْ أجادا فيهما .

---

(١) وناهيك بتفسير ابن جرير الطبرى .

(٢) أى المرور ، ولها شروح جليلة . وعليك بالبيان والتبيين للجاحظ . والكامل للمبرد . وأمالى ملا على القالى . وكتاب الأغانى . وعليك بدواوين فحول الشعراء فى مختلف العصور لتتذوق الأدب العربى وبلاغة القرآن والأحاديث .

ومن كتب التواريخ : تاريخ الإمام أبى محمد عبد الله ابن أسعد بن على اليافعى ، المسمّى : مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان ، وتقلب حال الإنسان بتصريف الملك الديّان ، الذى كل يوم هو فى شأن ، وكتاب الخميس ، فى سيرة أنفس نفيس ، للإمام أبى الحسن البكرى وكتاب طبقات الخواص للشرجى .

ومن كتب الحديث : الصحيحان ، وسنن أبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، والجامع الصغير للسيوطى ، وكتاب تيسير الوصول ، إلى علم الأصول ، للديبعى اليمنى .

ومن كتب معرفة حقوق النبى صلى الله عليه وسلم : كتاب شفاء الأمراض ، للقاضى عياض . ومن كتب معرفة حقوق أهل بيته صلى الله عليه وسلم خصوصاً آل أبى علوى منهم : كتاب العقد النبوى ، للشيخ شيخ بن عبد الله العيدروس ، وكتاب الجوهر الشفاف للخطيب ، وكتاب المشرع الروى للشلى ، وغير ذلك من الكتب المصنفة فى ذلك مثل شرح العينية ، للحبيب أحمد ابن زين الحبشى . ولتكن لك معرفة بقصائد مشهورة بالخير مذكورة ، تداولها السلف والخلف ، منها القصيدة الهمزية للشيخ

للبوصيرى ، والبُرْدةُ له ، وشرحاها للشيخ ابنِ حجر والمحلّى ، والقصيدةُ الّتى مطلعها :

• إلى متى أنتَ باللذّاتِ مشغولُ •

للبُوصيرى أيضاً ، عارضَ بها بانتْ سعادُ ، والمنفرجةُ المشهورة وخُصوصاً معَ حصولِ الجدبِ ، وانقطاعِ المطرِ ، فإنها عظيمةُ التأثيرِ فى حصول الفرَجِ عاجلا .

وكذلكَ القصيدةُ المسماةُ بِأُمِّ الفرجِ للشيخِ مُحمدٍ باصَلْفَة الزّغبى الّتى مطلعها :

• سهرتُ وهاجتْ بالمدامعِ مقْلتى •

فإنهُ قد توسّلَ فيها بجميعِ أنبياء اللهِ الكرامِ والملائكةِ عليهمُ السلامُ والأولياءِ والعلماء الأعلامِ ، وأسماءِ اللهِ وكتبهِ العظامِ . واستغفارُ أبى مدينَ ، وعقيدةُ الإمامِ اليافعى ، وديوان الشيخِ أبى بكرِ بنِ عبدِ اللهِ العدنى ، وديوانُ الفقيهِ عُمر ابنِ الفارضِ والشُوذِىّ ؛ فهؤلاء أهلُ الذّوقِ والشوقِ ، وكلامهمْ يخرجُ منْ صميمِ قُلُوبهمْ ، وما خرجَ منَ القلْبِ ، صادفَ القلْبَ ، كلُّ كلامٍ برزَ وعليهِ كسوةُ القلْبِ الذى يبرزُ منه .

• • •

وَلْيَكُنْ لكَ فى أخذِ هذهِ العلومِ وسلوكِ سبيلها شيخٌ محقّقٌ عارفٌ متضلّعٌ، ذُو فهمٍ وعلمٍ وحكمٍ وأدبٍ وحَسَبٍ ونورٍ، و بصيرةٍ منيرة، وحسنِ سريرةٍ وسيرة، يَرجعُ فى علمه إلى شيخٍ أو شيوخٍ لهم سلسلةٌ متّصلة يرتفعُ سندُها إلى رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلّم، وإنِ اتّفقَ شريفٌ علوىٌّ حسنىٌّ سنىٌّ، فهو الكمالُ، قالَ عليهِ الصلاةُ والسلام: «عالمُ قُرَيْش يملأُ طباقَ الأرْضِ علماً» الحديث المشهور، وتعلّمْ منه لِأنّكَ بذلكَ تصيرله ابناً فيكونُ لكَ أباً، ويحصلُ الاتصالُ الرّوحىُّ، الذى أدركَ سلمانَ، وجرى عليهِ السّلَفُ والخلَفُ، فإذا لقيتَ ذلكَ الشّيخَ، فينبغى لكَ أنْ تلقىَ قيادَكَ إليهِ، وتعتمدَ فى مهمّاتِ أمورِكَ عليهِ، وتُخضعَ نفسكَ بالانقيادِ لديهِ، وتجعلَه واسطةً بينَكَ وبَيْنَ اللهِ وتأخُذَ لكَ منه إجازَةً فى روايةِ العلومِ الشّرْعيّةِ جُمْلة، وتطلُبَ منه لباسَ الخرقةِ الصُّوفيّةِ، وتلقينَ كلمةِ: لا إلٰه إلا الله، والمصافحةَ المعروفةَ عندَ أهل الطريقِ، فإنكَ بذلكَ تنتظم فى سلكِ أهل تلكَ السّلسلة، ويكُونُ لكَ ما لهمْ وعليكَ ما عليهمْ إنْ شاء الله تعالى، وتُعامَلَه بالأدب بحيثُ لا تَصْدُر إلا عنْ رأيهِ فى كلِّ أمر وعلى كلِّ حال وإنْ دقَّ، وتمتثلُ ما قاله وإنْ شقَّ، وتعتمدُ فى معرفةِ ماله عنْكَ

منَ الحقوقِ ما ذكرَهُ حجةُ الإسلامِ فى البدايةِ والإحياء ، ومُحيي الدينِ فى التبيانِ وغيرِهِ ، فإنَّ المحصولَ منَ العلمِ والفتحِ والنورِ ، أعني الكشفَ للحُجُبِ على قدرِ الأدبِ معَ الشيخِ وعلى قدرِ ما يكونُ كِبرُ مقدارِهِ عندكَ يكونُ لكَ ذلكَ المقدارُ عندَ اللهِ منْ غيرِ شكٍّ .

وعلى الجملةِ فينبغى لكَ أنْ تقطعَ بأنَّ ما على وجهِ الأرضِ(١) أفضلَ ولا أكملَ ولا أنبلَ ولا أجلَّ منهُ ، وأن ترى جميعَ مراتبِ المشايخِ دونَ مرتبتهِ وإنْ جلُّوا ، وأنْ لا تعترضَ عليهِ فى أمرٍ منَ الأمورِ لا ظاهراً ولا باطناً إنْ شئتَ الظَّفرَ بجميعِ المطالبِ ، ورُقىَّ أعلى المراتبِ . قالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضىَ اللهُ عنهما : ذُلِّلْتُ طالباً فعززتُ مطلوباً .

وكانَ يُقبِّلُ قدمَ(٢) شيخهِ زيدِ بنِ ثابتِ بنِ الضَّحَّاكِ الخزرجيِّ الأنصاريِّ ، ويأخذُ بركابِ بغلتهِ . وكانَ الأمينُ والمأمون ابنا هارونَ يتبادرانِ نعلَيْ شيخهما الكسائيِّ أيهما يُلبسهُ إياها . فيقولُ لهما عندَ ذلكَ : لكلٍّ واحدٍ واحدةٌ ، وقدْ رُوى فى الحديثِ:

---

(١) أى فى عصرك وجهاتك .

(٢) لم يعرف فى عهد الصحابة تقبيل الأقدام .

آباؤكَ ثلاثةٌ : أبوكَ الذى ، ولدكَ والذى زوَّجكَ ابنتهُ ، والذى علَّمكَ ، وهوَ أفضلهمْ .

وَاعلمْ أنَّ الشيخَ المقتدَى بهِ فى التعليمِ والاهتداء إلى سبيلِ الغفورِ الرَّحيمِ ، يَعتمدُ فى تمكينِ الاتصالِ ، وحصولِ القبولِ ، والإقبالِ منهُ فى كلِّ حالٍ ، على نيَّةِ الطالبِ ، ومقصدِ الرَّاغبِ ، لا ينفكُّ منهُ إلاَّ إذا وقعَ ذلكَ منَ الطالبِ ، فأمّا منهُ فلا يحصلُ الانفكاكُ أبداً ولوْ أرادهُ .

مثالُ ذلكَ : الإمامُ فى الصَّلاةِ ، فإنهُ لوْ قالَ إماماً لجماعةٍ دونَ فلَانٍ فإنها لا تبطلُ قدوَتهُ بهِ وَأمّا المقتدِى فمتى نوى المفارقةَ انقضت القدوة بأوَّلِ خاطرٍ ، انتهى .

ثمَّ إذا تحققتَ بما يسَّرَهُ اللهُ لكَ منَ العلمِ الشَّريفِ ، فينبغى لكَ أنْ تعملَ بما استطعتَ منْ ذلكَ مستعيناً باللهِ تعالى ، وترتِّبَ أوقاتكَ وتشتغلَ فى كلِّ وَقت بورْدٍ على حسبِ ما أوْرَدهُ الحجةُ فى البدايةِ (١) ، وترتيبِ الأوْرادِ فى الأوقاتِ .

وَليَكُنْ لكَ قيامٌ منْ آخرِ اللَّيلِ ، وَلوْ قبلَ الفجرِ .

ولازمِ الدُّعاء الواردَ بعدَ ركعتىْ سنةِ الفجرِ ، ثمَّ ما يسَّرَه الله

---

(١) حجة الإسلام الغزالى فى بداية الهداية السابق ذكرها .

منَ الأورادِ بعدَ صلاةِ الفجرِ ، وَلْيَكنْ منْ ذلكَ : « يا قيُّومُ فلا يفوتُ شيءٌ منْ علمهِ ولا يؤودُهُ » سبعاً وعشرينَ مرةً ، فإنهُ مُجربٌ للحفظِ .

وتقولَ أيضاً « يا مبدِعَ البدائعِ لمْ يبغِ في إنشائها عوناً منْ خلقِهِ » تسعاً وتسعينَ مرةً ، ففيهِ منافعُ كثيرةٌ دينيَّةٌ ودنيويةٌ .

ولا تتركْ صلاةَ الضُّحى ، فإنَّ فعلها منْ سيما الصَّالحينَ .

وقُلْ بعدَ صلاةِ الظهرِ : « لا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ » ، ولوْ أنْ تقتصرَ على مائةٍ .

واقرأْ بعدَ صلاةِ العصرِ حزبَ البحرِ المشهورِ بالبركةِ والنورِ ، اللهَ اللهَ في حفظهِ وترتيبهِ في ذلكَ الوقتِ .

ثمَّ أحْيِ ما بينَ العشاءينِ بقراءةِ الحزبِ المشهورِ في المسجدِ .

ثمَّ إذا صلَّيْتَ العشاء فينبغي لكَ أنْ لا تتركَ قراءةَ راتبِ سيدنا عمرَ الذي أولُهُ : أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ منَ الشيطانِ الرَّجيمِ [1] ، ولا تتركْ وِرْدَ الفاتحةِ الذي رتبهُ الغزاليُّ منْ قراءتها بعدَ الفرائضِ ، وهي إحدى وعشرونَ بعدَ صلاةِ الصبحِ ، وثنتانِ

---

(١) هو الإمام عمر بن عبد الرحمن العطاس صاحب حريضه وراتبه يسمى حرز المنال وفتح باب الوصال يقرأ صباحاً ومساء (انظر سبيل المهتدين) .

وعشرونَ بعدَ صلاةِ الظهر ، وثلاثٌ وعشرونَ بعدَ صلاةِ العصرِ ، وأربعٌ وعشرونَ بعدَ صلاةِ المغربِ ، وعشرٌ بعد صلاةِ العشاء ، فيكونُ المجموعُ مائةً .

وَلْيكُنْ مما تتخذهُ ذكراً منَ الأسماء التي تورثُكَ حفظَ العلوم وفهمَ معانيها والنطقَ بغرائبها ، هذانِ الإسمانِ « المبدىء الخالقُ » وأقلُّ ما تذكرُ بهما كلَّ يومٍ مائةُ مرة ، ولا حدَّ لأكثرِهِ وذلكَ أنْ تقولَ : « يا مبدىء يا خالقُ » .

ومنَ الأسماء التي تورثُكَ استجابةَ الدعاء « يا سميعُ يا بصيرُ » تذكرُ بهما كلَّ يومٍ مائةَ مرةٍ ، وهيَ أدنى ما تقتصرُ عليهِ .

ومنَ الحروفِ القرآنيةِ التي تقولها عند مواجهةِ الظلمةِ لكفايةِ شرورهم كهيعص حمعسق تعقدُ على الأولى أصابعَ اليمنى الخمس ، وفي الثانيةِ أصابعَ الشمالِ .

ومن الآياتِ المحصِّلةِ لذلكَ أيضاً ﴿ وَقُلْ ربِّ أعوذُ بكَ منْ همزاتِ الشياطين ، وأعوذُ بك ربِّ أن يحضرونِ ﴾ .

وليكُنْ منْ أذكاركَ الملتزَمةِ « يا أرحم الراحمين » فإنَّ بعض مشايخِنا كان لا يفترُ عن الذكر بهذا الذكر : كذلك « يا حيُّ يا قيومُ » فإنه اسمُ اللهِ الأعظمُ على ما قطعَ بهِ الإمامُ محيي الدين

النووىُّ رحمه اللهُ ، وكانَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يوم بدرٍ يقولُ : يا حيُّ يا قيُّومَ برحمتِكَ أستغيثُ .

وإذا ضلَّتْ عليكَ ضالَّةٌ ، فقُلْ : « يا جامعَ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيهِ إنَّ اللهَ لا يُخلفُ الميعادَ . أجمعْ علىَّ ضالَّتى إنكَ لا تُخلفُ الميعادَ » تكرِّرها مائةً وستَّ عشرة مرة ، فإنها مُجرَّبةٌ لردِّ الضائعِ .

وقالَ بعضُ العلماءِ : منْ ضاع لهُ شىءٌ فقالَ « يا حفيظُ » مائةً وتسعَ عشرة مرَّةً من غيرِ زيادةٍ ولا نقصانٍ ، ثمَّ يقولُ : ﴿ يا بُنىَّ إنها إنْ تكُ مثقالَ حبَّةٍ منْ خردلٍ فتكُنْ فى صخرةٍ أوْ فى السمواتِ أوْ فى الأرضِ يأتِ بها اللهُ ﴾ مائةَ مرَّةٍ وتسعَ عشرةَ مرَّةٍ ردَّ اللهُ عليهِ ضالَّتهُ وحفظها عليهِ ؛ مُجرَّبٌ صحيحٌ .

ثمَّ إذا أردتَ النومَ فاقرأ : ﴿ إنَّ فى خلقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ والفُلْكِ التى تجرى فى البحرِ بما ينفعُ الناسَ – إلى – يعقلونَ ﴾ ، فإنَّ فيها منافعَ كثيرةً منها أنها تعينكَ على حفظِ القرآنِ ، وأنكَ لا تنسى ما حفظتهُ منْ ذلكَ ، فلازمها كلَّما أردتَ النومَ فى أىِّ وقتٍ كانَ بليلٍ أو نهارٍ .

وليكنْ من وِرْدِكَ عند النوم : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر، ثلاثاً وثلاثين مرة وتقولُ بعدها : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملكُ وله الحمدُ ، يُحيي ويُميت ، وهو على كل شيء قدير «مرة» ، فلازم هذا . والحذر من أن تتركه ، أو تغفل ، أو يغلبك عليه النوم ، فإن فيه من المنافع الكريمةِ ، والفوائدِ العظيمةِ منافعَ وفوائدَ لا تحصى ، وقل أيضاً : بسم الله الرحمن الرحيم إحدى وعشرين مرة عند النوم ، فإنها أمانٌ من السَرَقِ والحرَقِ والغرقِ .

ثم إذا استيقظتَ فأتِ بالأذكارِ الواردةِ في ذلك ، فإن ملازمَتها مما يورثُ حسنَ الخاتمةِ والموتَ على الشهادةِ التي هي عنوانُ السعادةِ .

ومنها أن تقرأ : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ﴾ إلى آخر سورة آل عمران .

وليكن من آدابك في أخذ العلمِ إخلاصُ النيةِ في طلبه لله والدارِ الآخرةِ ، لا لغرضٍ آخرَ من توسطٍ بين الناس للحكومات فإن في ذلك الخطرَ العظيمَ ، ولو لم يكن إلا قوله تعالى : ﴿ فلا تخشَوُا الناسَ واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ لكفى .

وروى الإمامُ الطبرانيُّ في معجمِهِ الأوسَطِ عن ابنِ عباس

رضى الله عنهما أن النبىَ صلى الله عليه وسلم قال : « علماء هٰذه الأمة رجلان : رجلٌ آتاه الله علماً فبذله للناسِ ولم يأخذْ عليه طمعاً ولم يشتر به ثمناً قليلا ؛ فذلك يصلى عليه طيرُ السماء ، وحيتَانُ البحر ، ودوابُّ الأرض والكرامُ الكاتبونَ يَقْدُمُ على الله سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين . ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فَضَنَّ به عَلَى عبادِ الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا قليلا ؛ فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجامٍ من نار ، وينادى منادٍ عَلَى رءوسِ الخلائقِ هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فى الدنيا فضن به عَلَى عبادِ الله وأخذ عليه طمعا ، واشترى به ثمنا قليلا ، ثم يعذَّبُ حتى يفرغَ الحساب .

وقولُه عليه الصلاة والسلام : « من وُلِّىَ القضاءَ فقد ذُبِحَ بغير سكين » .

قال الشاعر - وهو بعض القضاة الورعين رحمه الله ونفع به آمين - :

وُليتُ القضاءَ وليَت القضا
لم يكُ شيئا تولَّيتُه

فقد ساقنى للقضاءِ القضا
ولم أكُ قِدماً تمنيته

ومحل الذم والإثم فيه إنما هو مع طلبِه وتمنِّيه ، أما إذا تعينَ ووجبَ

وطَلب منك القيامَ به أهلُ الحلِّ والعقدِ وعرفوا فيك الأهليةَ لذلك وعَرَفْتَ أنت من نفسِك القدرةَ على القيامِ به لوجهِ اللهِ مع القوةِ على مواجهةِ الظالمِ والقويِّ والغنيِّ والذى تحتشمه بالحقِ فلا بأسَ . قال صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة : « لاتطلبِ الإمارةَ فإنك إن طلبتَها وُكِلْتَ إليها وإن طُلِبتَ لها أُعنتَ عليها » . قال تعالى : ﴿ وإن حكمتَ فاحكم بينهم بالقِسط إن الله يحب المقسطين ﴾ ، وقال صلى الله عليه وسلم: « إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابرَ من نور » ، قال الشاعر :

وليتُ الحكمَ خمسا هن خُمس
لعمرى والصبا فى عنفوانِ
فلم تضعِ الأعادى قدر شانى
ولا قالوا فلانَ قد رشانى

والحقُّ واضحٌ ، ومصباحُ الهدى يشتعل ، والعاقبةُ للمتقين ﴿ إن الله معَ الذين اتقَوْا والذين هم محسنون ﴾ .

ثم ليكنْ من أدبكِ أخذُ العلمِ عن أهلِه ، وبذلُه لأهلِه ، والاستفادةُ والإفادةُ مع التواضعِ والتخشُّعِ ، ومعرفةُ القدر ، وإعارةَ الكتب للطالبين ، لاسيما ماحصّلته أو ملكته .

أما الكتبُ الموقوفةُ ، فالحذرُ من حبسِها ومنعِها إلا بقدرِ الانتفاع ،

فإن الواقف لم يقصد إلا ذلك ، وقد جاء فى الحديث : « من سُئل عن علم يعلمه فكتمه أُلجم يوم القيامة بلجام من نار » .

وقال عيسى عليه السلام : « لا تضعوا الحكمة فى غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء » وقال أيضاً « من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ، ومن منعها أهلها فقد ظلم ، إنّ للحكمة حقاً ، وإنّ لها أهلا فأعط كل ذى حق حقه » .

وقد جاء أيضاً : مثل الذى يمنع الانتفاع بالعلم ، ولا ينتفع هو به ، مثل الحصاة التى تكون على الماء لا تشرب ، ولا تترك الناس يشربون . وقد ابتُلى بهذه البلية جماعة من أهل هذا الزمان فتراهم يأتيهم طالب العلم ، وربما كان من أبناء الرسول يطلب منهم الكتب الموقوفة على المسلمين عامة فيمنعونه ويضنون بها عليه ؛ فليت شعرى ! ماذا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقوه ، وقد امتنعوا على ولده أو على بعض أمته من الانتفاع بكتب شريعته المملوكة فضلا عن الموقوفة إن كانوا يؤمنون بلقائه عند الموت ، فالحمد لله الذى لم يأمنهم إلا على الكتب الظاهرة التى توجد عند غيرهم ، ولم يجعل أرزاق عباده بأيديهم ، ولو كان ذلك لقتلوهم بالجوع ، والحمد لله الذى لم يأمنهم على أسرار الولاية وأنوارها ، ولو كان ذلك لم يقربوا إلى الله أحداً .

وقد طلبتُ مرة من بعضِ الناس كتاباً فجعل يواعدني بإعارته كواعيد عرقوب أخاه بنخلتِه حتى يئستُ منه ، ثم تُوُفِّيَ بعد ذلك بقليل ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم :

لِكُتُبِ العلمِ كن دأباً معيراً
ولا تبخلْ فإن البخلَ عارُ
ولا تحقِدِ فإن الحقدَ شؤمٌ
به قوم إلى الخِذلان صاروا
فنصاً « لن تنالوا البر حتى »
كفى بالنصِ ياصاحِ اعتبارُ

وقال إمامنا الشافعي نفع الله به ورضي عنه :

العلم يمنع أهلَه أن يمنعوه أهلَه

فإذا رأيت من فَتحَ اللهُ عليه بعلمٍ ، أو عبادةٍ ، أو معرفةٍ ، أو جاهٍ ، أو وَجاهةٍ ، أو مالٍ ، فليكنْ من شأنِكَ الفرحُ بما ينزِّلُ اللهُ من فضلِه على من يشاءُ من عبادِه إن كنتَ مؤمناً ، ففي الحديث : « لايؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه مايحبُّ لنفسه » ، فافهم فإن كراهيَتك لذلك تدل أن نيتَك حبسُ فضلِ اللهِ عن عبادِه وهو غير ممكن ، ﴿ وللآخرةُ أكبرُ درجاتٍ وأكبرُ تفضيلا ﴾ .

وإذا حضرت مَدْرَسَ علم فيه من يُقرأ عليه ، فلا تبادر بالمذاكرةِ بما تحفظه من شرح الكلمات؛ فإن ذلك مما يَشينك ، ويدل على عدَم أدبك ، إلا أن يوجه إليك الكلام من الشيخ الحاضر . وإذا كان القارىء يقرأ وعندك كتابٌ فلا تنظر فيه ، فإن ذلك مما يدل على عدمِ المبالاة منك : وإذا كان القارىء يقرأ فى كتاب فلا تنظر إلى الورقةِ التى بيدهِ ، ولا تأخذ من كتابهِ ورقةً .

وإذا دخلت منزلا فيه كتبٌ فلا تأخذ منها كتاباً إلا أن يعطيَك صاحبُ المنزل؛ فإنه يستدل بذلك على قلة أدبك ، فالحذرَ الحذرَ . وإذا كان إنسان يكتب ورقة وأنت حاضر ؛ فاصرف نظرَك عنه ، فإنك إن لم تفعل ذلك قيلَ لك ذلك .

وإذا أتيتَ إلى شىء من البيوت وأردتَ الدخول فاستأذن ؛ فإن أذن لك فادخلْ ﴿ وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾

وإذا دخلت منزلا فغضّ نظرَك عن عوراتِ المنزل ، وعن المحارمِ ولو أنهن جلوسٌ عندك فإن ذلك مما يمكن بعدم إحداد النظر ، قال الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغُضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجَهم﴾ الآية .

وإذا كنت فى مجلسٍ مع جماعة فلا تستغرق الكلامَ كلَّه ؛ بل

ما وَجب ثم ما توَجّه إليك ، وإذا كان إنسان يتكلم فلا تعارِضه بكلامك بل اصبر حتى يُتم كلامه ثم تكلم .

وإذا كان جماعة فى محضَر ، ومنهم من يتحدّثُ فأنصِت لما يقول ، إن كان المكان متقارِباً ، والكلام يُسمع ، فإن الرجال يتحدث منهم الواحدُ بعد الواحدِ ، والنساء كلٌّ واحدة تهتِفُ مِن قِبَلها لا تعقلُ واحدةٌ ما تقول الأخرى .

وإذا بلغك عن إنسان فضيلةٌ فتحدَّث بها وأثْن عليه بما يستحقه ولو كان من أعدائِك ، فإن ثناءَ الرجلِ على أقرانه يدلُّ على غزارة عقلِه ، وكمالِ دِينه ، وإن بلغك القبيحُ فلا تتحدَّث به أبداً ، فإن من أخلاق الله تعالى إظهارَ الجميل ، وسترَ القبيح ، وإياك وسوء الظن ، واتهامَ من لا يُتَّهم ، فإن الله يقول : ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعضَ الظنِّ إثم﴾ وقال تعالى : ﴿وظننتم ظنَّ السَّوْء وكنتم قوماً بُوراً﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: « إياكم والظنَّ ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث » وبعض سلفنا آلُ أبى عَلَوى قال : الطبع السُّفلىُّ مُولَعٌ بسوء الظن :

إذا ساء فِعلُ المرء ساءت ظنونُه

وصدّق ما يعتادُه من توهُّم

وعادَى محبّيهِ بقول عدوّه
وأصبحَ فى ليلٍ مِنَ الشكِّ مظلِمِ

ولا بأس بالحزم والتثَبت فى كل أمر وعدمِ السكون إلى من لم تختبر حالَه حتى تجرِّبه وتختبرَه ، فإن هذا من سِيما السلف . قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لستُ بالخِبِّ(١) ، ولا يخدعُنى الخِبُّ . والحذرُ كلُّ الحذر من الحقد والإصرارِ على العداوة ، وعدمِ قبول العذر . قال سيدنا الإمام الشافعى رضى الله عنه : من استُغضِبَ ولم يغضب فهو حِمار ، ومن استُرضِى فلم يرض فهو شيطان . وقال أيضاً : الانبساطُ إلى الناس مجلَبة لقرَناء السوء ، والانقباضُ عنهم مكسبة العداوة ، فكن بين المنقبض والمنبسط . انتهى . فكن من الأمور فى أوساطها لا تتكلفْ ولا تتخلفْ . قال الشاعر :

ولا تَغلُ فى شىء من الأمر واقتصد
كِلاَ طرفى قَصدِ الأمور ذميمُ

ولا تواجِهْ الإنسان بما يَكرَه من الحديث من قِبَلك أو تبليغ من غيرك ، ولو أن تُعطَى على ذلك أجرة فلا تقبلْها ولو كنت مضطرا إليها ، فإن كَسْرَ خاطرِ مؤمنٍ أشدُّ من هدْم الكعبةِ سبعين مرة(٢) »

---

(١) الخب : الخداع اﻫ مختار . (٢) فى النفس من هذه المبالغة شىء .

وإذا كان المبلّغ فيه سرورٌ لمؤمن فأسرع إليه ولو حبواً ، فإن أكابرَ الصحابة مثلَ أبى بكر وعمرَ كانوا إذا أُنزلت آية فيها بشارة لمؤمن يستَبِقون أيُّهم يُبشِّرُه لما يعلمون ما فى ذلك من الثواب فيرغبون فيه ، وفى الحديث : « مَن صادف مِن أخيه شهوةً غُفر له ، ومن سَرَّ أخاه المؤمن فقد سرَّ الله تعالى » .

ورُوى أيضاً : « من أدخل على مؤمن سروراً خلق الله من ذلك السرور سبعين ألف ملَك يستغفرون له إلى يوم القيامة » ، وتجنّبْ المجالسَ التى تحصل فيها الخصوماتُ والمجالسَ التى يُغتاب الناس فيها ، والمجالسَ المتّهَمَة ، فإن التزام الحزامة زِمامُ السلامة ، فكن من أهل هذا الزمانِ على أشدِّ الحذر فإنهم يقطعون فيما يُشِينك بالظن ، ويكذبون فيما يزينُك بالعِيان يفرحون بعثراتك ليلمِزوك بألسنتهم ويكرهون إحسانَك لئلا يسمعوا من يُثنى عليك به ، والحذرُ أن تغترَّ بالثناء منهم عليك إذا حضروا لديك ، أو تسكنَ إليهم فى حال ! كولهم لك ، فإن الدانىَ والذى لا يعرِف ولا يعلم شيئاً لا يُسلِّم لك ما يشاهَد منك من المكارم ولا تلُمْهم على ذلك ، فإن هذه سنّةُ الله فى خلقه قد ابتلى بها الأنبياءَ والصحابةَ والأولياءَ . قال الله تعالى : ﴿ لَتبلوُنّ فى أموالكم وأنفسكم ولَتَسمعُنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذًى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ ،

وقال تعالى : ﴿ وجَعلنا بعضَكم لبعض فتنةً أتصبرون وكان ربُّك بصيراً ﴾ .

قال الإمام أبو حنيفة :

إنْ يحسدونى فإنّى غيرُ لائمهمْ
قبلى منَ الناسِ أهلِ الفضلِ قدْ حُسدوا
فدامَ لى ولهمْ ما بى وما بهمْ
وماتَ أكثرُهمْ غيظاً بما يجدُ

وعليكَ بالإنصافِ منْ نفسكَ ما أمكنَ وعدمِ الانتصافِ منهمْ ، وتغافلْ عمَّا تسمعُ منْ كلامهمْ فيكَ ، ولا تَشغلْ نفسكَ بالجواباتِ والمحاجَّةِ ، فإنْ ذلكَ لا يزيدُهمْ إلا تمادياً فيما يقولونَ ، ولا يستمعونَ لما تقولهُ أنتَ منَ المحاجَّةِ عنْ نفسكَ وإنْ كنتَ صادقاً ، ولا يفرحونَ بظهورِ الحقِّ عَلَى لسانكَ بلْ اسمعْ واسكتْ .

والحذرُ من المجاوبةَ إلا بالتى هى أحسنُ ، فإنْ أبيتَ إلاّ المخاصمةَ والمحاطمةَ والمعاداةَ ، فإنَّ ذلكَ هوَ الذى أرادوهُ منكَ وخاصموكَ لأجلهِ ، فحينئذ يطولُ عليكَ الحالُ ، ويذهبُ دينُكَ ومروءتُكَ ، وهذا هوَ مرادُ الشَّيطانِ ، وقدْ قالَ أهلُ الفضلِ : تسعةُ أعشارِ السَّلامةِ فى التغافُل :

وتغافلْ عنْ أمورٍ إنّهُ

لمْ يفزْ بالحمدِ إلا منْ غفلْ

وعليكَ بكتمانِ الأسرارِ ، ولا تتحدثْ عندَ الناسِ إلا بما تريدُ ظهورَهُ خصوصاً ما يضرُّكَ إذا ظهرَ ، فإنّهمْ يسارعونَ إلى إفشائهِ إلا القليلَ لا سيّما النساء :

إذا المرء أفشى سرّهُ بلسانهِ

ولامَ عليهِ غيرَهُ فهوَ أحمقُ

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عنْ سرِّ نفسهِ

فصدرُ الذي يفشي له السرَّ أضيقُ

وممّا ينبغي كتمانُهُ : الفقرُ ، والعداوةُ ، والطاعةُ ، والسفرُ إلا عنْ ضرورةٍ ، ولا تكرَهْ حسدَ الحاسدينَ ، فإنهُ لا يكونُ إلا على دنيا أوْ دينٍ ، وهوَ لازمُ مَنْ خصهُ اللهُ بشيء منْ هذَينِ كما قيلَ :

وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ

طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ

لولاَ اشتعالُ النارِ فيما جاورَتْ

ما كانَ يُعرَفُ قَطُّ نشرُ العودِ

وقلت في المعنى على هذا المبنى :

ما مِنْ نبيّ أوْ وليّ كاملٍ
نُشِرَتْ لهُ الرّاياتُ إلا عُودِي

وتعوَّذْ باللهِ منْ شرِّهمْ ، واستعنْ باللهِ وتوكّلْ عليه ، وقلْ : حسبيَ اللهُ لا إلهَ إلا هوَ عليهِ توكلتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيم « سبعَ مرّاتٍ » فإنّكَ إذا قلتَ ذلكَ كفاكَ اللهُ كلَّ شرٍ إنْ قلتهُ صادقاً لا كاذباً ، وقلْ أعوذُ بربِّ الفلقِ إلى آخرِ السورةِ .

✓ وإذا طلبْتَ منْ أحدٍ حاجةً فقضاها لكَ فهوَ أخٌ منقاد فاشكُرْهُ واثنِ عليهِ بخيرٍ ، فإنَّ منْ لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ اللهَ ، وإذا لم يقضهاَ فلا تتخذهُ عدوًّا فتشتِمَهُ وتغتابَهُ وتعاتبهُ ، وقلْ لم يُقدِّرِ اللهُ ذلكَ .

وإذا رأيْتَ إنساناً في معصيةٍ ، أو في غفلةٍ ، أو مجلسِ سوء ، أوْ في مصيبةٍ ، أوْ في بليَّةٍ في دينهِ ، أوْ بدنهِ ، أوْ دنياهُ ، فلا تنكرْ عليهِ ، ولا تشمتْ بهِ ، لأنكَ لا تدرى ماذا يكونُ عاقبةُ أمرهِ وماذا يُختمُ لهُ بهِ ، فإنَّ الأعمالَ بخواتيمِها ، فينبغي لكَ حينئذٍ أنْ تقولَ : الحمدُ للهِ الذى عافانى ممّا ابتلاهُ بهِ وفضّلني على كثيرٍ ممّنْ خلقَ تفضيلاً ، فإنَّ في هذا القولِ أماناً منْ كلِّ مصيبةٍ وفتنةٍ

فى الدينِ ، وشفاء من كلِّ مرضٍ ومصيبةٍ تكونُ فى البدنِ ولوْ كانَ ما كانَ ، افهمْ والزمْ وكنْ منَ الذينَ يستمعونَ القولَ فيتبعونَ أحسنهُ أولئكَ الذينَ هداهمُ اللهُ وأولئكَ همْ أولو الألبابِ .

وإذا رأيتَ إنساناً يظهرُ لكَ الصداقةَ ويقابلُكَ بالقولِ الطيِّبِ ، ويُسِرُّ لكَ العداوةَ ، ويغتابُكَ فى الغيبةِ ، فلاَ تَهتِكْ هذا الغطاء ، وتواجههُ بالجفاء ، فقدْ أجلَّكَ منْ يعصيكَ مستتراً وأظهرْ لهُ أنكَ لا تعلمُ مِمَّا يقولُ إلاَّ ما يواجهكَ بهِ ، وبهذا الخُلقِ العظيمِ تُعاملُ جميعَ منْ تُعاشرُ منْ أهلٍ وولدٍ ، وقريبٍ وحبيبٍ :

اقبَلْ ظواهرَهُمْ وكِلْ سرائرَهُمْ

إلى المهيمنِ إنْ برُّوا وإنْ فَجرُوا

ولا تطمعْ أنْ يكونَ لكَ فى السِّرِّ والعلانيةِ سواء فإنَّ هذا مِمَّا لا يكونُ ولا تحزنْ مِمَّنْ تتقرَّبُ أنتَ إليهِ بالمودَّةِ والملاطفةِ ، ولينِ القولِ ، وطلاقةِ الوجهِ ، وهوَ يتباعدُ عنكَ قلباً وقالباً ، فإنَّ ذلكَ فى الغالبِ مِمَّا لا يُجدى إذِ الصفاةُ لا تندَى . قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فما تعارفَ منها ائتلف وماتناكرَ منهاَ اختلفَ » ، أىْ ماتوافقَ هُناكَ فى عالَمِ الأرواحِ ائتلف

هنا فى الدُّنيا وحصلتْ بينهما المَوَدةُ والقُرْبةُ والأُنْسُ والصُّحْبَةُ ، وما تناكَرَ منها هناكَ فى عالَمِ الأرواحِ حصلَتْ بينهما هنا المباعدةُ والقطيعةُ والوَحشةُ ، فلا تُتْعِبْ نفْسَكَ ، ولا تضرِبْ فى حديدٍ باردٍ ، ولا تطلُبْ ما لَسْتَ لهُ بواجدٍ ، لاَسيَّما إنْ خالطهُ داءُ الحسدِ الذى إذا خالطَ الدِّينَ فسدَ وأوْهنَ الرُّوحَ والجسدَ ، فإنَّ ذلكَ الإنسانَ لا يقبلُ فى مصالحتكَ صَرْفًا ولا عدلا ، ولا يصافيكَ جِدًّا ولا هزْلا . قالَ الشاعرُ :

كلُّ العداوةِ قدْ تُرْجَى إزالتُهَا

إلا عداوةُ مَنْ عاداكَ عنْ حسدِ

ولاَ تعجبْ مِمَّا يَقَعُ عليكَ مِنَ الأذَى منهمْ والمقاطعةِ والعداوةِ والمُجانبةِ ، وخصوصاً المُعاصرَ فإنهُ لا يناصرُ . وهوَ الذى يدَّعى أنهُ مثلُكَ وخيرٌ منكَ ، ونسيبَكَ الذى ترْجِعُ أنتَ وهُوَ إلى أب ، فإنَّ هؤلاءِ فى الغالبِ لا ترَى منهمْ إلاَّ ما يغمُّكَ ويكدِّرُ عليكَ إلا منِ اتقى الله وخافَ وعيدَهُ ، وقصدَ بطاعتهِ ، وعلمِهِ وعملِهِ وجهَ اللهِ الكريمِ ، وقليلٌ ما هُمْ ، وَإنما تتعجبُ إذا رأيتَ منهمُ الإكرَامَ والمواساةَ ، والزِّيارةَ والمحبةَ .

قالَ الجُنيدُ رَحِمهُ اللهُ تعالى ونفعنا بهِ فى الدَّارينِ ، أَصْلُ

أصلاً لا أشتغلُ بعدهُ بما يرِدُ عَلَيَّ منَ المشغلاتِ منْ جميعِ ما في الكَوْنِ : أنَّ الدنيا دارُ همٍّ ، وغمٍّ ، وبَلاء ، وفِتنةٍ ، ومِنْ لازِمها ولازمِ أهلها أنْ يتلقَّوْني بكلِّ ما أكرَه فإنْ تلقَّوْني بشيء ممَّا أحبُّ فهوَ فضلٌ وإلا فالأصلُ هوَ الأوَّلُ انتهى .

وبالجملةِ فعليكَ بأدبٍ واحدٍ جامعٍ لجميعِ الآدابِ ، وهوَ أنْ تجتنبَ كلَّ ما تَكرَهُ منْ غيرِكَ وتفعلَ كلَّ ما تحبُّه لكَ منهمْ ، وتشتغلَ بعيوبِ نفسكَ عنْ عيوبِ الناسِ .

وقدْ قيلَ لعيسى عليه السلامُ : منْ أدَّبكَ ؟ فقالَ : ما أدَّبني أحدٌ ، رأيتُ جهلَ الجاهلِ فجانبتهُ . هذا ، والمؤمنُ مرآةُ المؤمنِ ، وتلازمَ تلاوةَ كتابِ اللهِ العزيز ، فإنَّ فيهِ منَ الثَّوابِ مالا يقدِرُ قدرَهُ إلاَّ الذي أنزلهُ .

ولوْ ذهبنا نشرحُ جميعَ ما بلغنا في ذلكَ لطالَ فضلاً عمَّا لمْ يبلغنا ، ، وكذلكَ أكثِرْ منْ ذكرِ اللهِ ، وهوَ التهليلُ ، والتسبيحُ ومن الدُّعاء ، والاستغفارِ ، والصلاةِ على رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ واستشعارِ قُرْبِ الأجلِ معَ تقصيرِ الأملِ ، والاستعدادِ للموْتِ ، وذلكَ بالتوْبةِ إلى اللهِ تعالى منْ جميعِ الذُّنوبِ ، وتردُّ ما تقدرُ على ردِّه منْ مظالمِ الناسِ خصوصاً الأموالَ التي تتركُها بعدكَ

للمورثة يأكلونها وأنتَ تُعذَّبُ عليها فلا تقدرُ على الإتيانِ بشيء منها ، وهذا هوَ الفوتُ الذى هوَ أشدُّ منَ الموتِ .

واعلمْ أنَّ الدُّنيا غيرُ باقيةٍ ، وأنَّكَ فيها غيرُ خالدٍ ، وتفكَّرْ فيما فعلتَهُ أمسِ منْ خيرٍ وغيرِهِ ، وفيما فعلتَهُ اليومَ أوَّلَ النهار ، وفيما فعلتَهُ فى أوَّلِ مجلسِكَ هذا ، أليسَ قدْ ذهبتْ لذَّتُه ، وبَقيتْ تبعَتُه ، فإنْ كانَ خيراً فسوفَ يأتيكَ ثوابُه ، وإنْ كانَ شرًّا فحسابُه وعقابُه :

إذا كنتَ فى أمرٍ فكنْ فيهِ محسناً
فعمَّا قليلٍ أنتَ ماضٍ وتاركه
وقدْ دَرجتْ أيَّامُ أرْبابِ دوْلةٍ
وقدْ ملكُوا أضعافَ ما أنتَ مالكُهْ

فتبْ إلى اللهِ منْ خطيئتكَ ، وبادرْ إلى كتابِ وصيتكَ ، واجعلْ حسنَ الرَّجاءِ فى اللهِ مطيَّتَكَ ، وكنْ حسَنَ الظنِّ باللهِ تعالى بأنْ يكرمكَ بحسنِ الخاتمةِ ، وأنْ يهوِّنَ عليكَ سكَراتِ الموْتِ . وأنْ يهوِّنَ عليكَ ضغطَةَ القبرِ ، وأنْ يثبِّتكَ بالقوْلِ الثابتِ فى الحياةِ الدُّنيا وفى الآخرةِ عندَ سُؤالِ منكرٍ ونكيرٍ ، وأن يجعلَ قبرَكَ روضةً منْ رياضِ الجنَّةِ ، وأنْ يبعثكَ منَ الآمنينَ من

أهوالِ يومِ القيامةِ ، وأنْ ينجيَكَ منْ كُرُباتِ الموقفِ ، وأنْ يجيزَكَ على الصِّراطِ كالبرقِ الخاطفِ ، وأنْ يسقيَكَ منْ حوضِ مُحمد صلى الله عليه وسلم شربةً لا تظمأُ بعدها أبداً ، وأنْ يدخلكَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ معَ الذينَ أنعمَ اللهُ عليهمْ منَ النبيِّينَ والصدِّيقينَ والشُّهداءِ والصالحينَ وحُسنَ أُولئكَ رفيقاً ، فإنَّكَ إذا أحسنتَ الظَّنَّ باللهِ تعالى ، ورجوْتَ أنْ يفعلَ لكَ ذلكَ فَعلهُ ، وما ذلكَ على اللهِ بعزيزٍ قالَ تعالى : ﴿ قُلْ يا عبادىَ الذينَ أسرفوا على أنفُسهمْ لا تَقنطوا منْ رحمةِ اللهِ إنَّ اللهَ يَغفرُ الذنوبَ جميعاً إنَّه هوَ الغفورُ الرَّحيمُ ﴾ ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يَموتَنَّ أحدكمُ إلاَّ وهوَ يُحسنُ الظَّنَّ باللهِ تعالى » ودخلَ على رجلٍ وهوَ فى النَّزْعِ ، فقالَ : « كيفَ تجدكَ ؟ » فقالَ أجدنى أخافُ ذنوبى وأرجو رحمةَ ربى ، فقالَ صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعاَ فى قلبِ عبْد فى هذا الموطنِ إلاَّ أعطاهُ الله ما رجاَ وَأَمَّنه ممَّا يخافُ » ، وقالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : « يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : أنا عندَ ظَنِّ عبدى فليظُنَّ بى ما شاءَ » :

حسِّنْ ظنونكَ بالمولَى ترَ البُشْرى

فالرَّبُّ عنـد ظنونِ العبدِ فلتدرى

جاءَ الحديثُ بذا فاصْغِ إلى الذِّكرَى
وَالْبَسْ منَ الصَّبْرِ سرْبالاً لدى الضَّجَرِ
وَأَسأَلْ منَ اللهِ كشفَ البؤسِ والضَّررِ

فيا لها منْ كرامةٍ ما أفضلَهَا ، وعطيّةٍ ما أجزلها ، ومنّةٍ ما أشملَهَا (قُلْ بفضلِ اللهِ و برحمتِهِ ، فبذلكَ فليفرَحوا هوَ خيرٌ ممَّا يجمعونَ) وحسبنَا اللهُ ونعمَ الوكيلُ .

وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وعلى آلهِ وصحبِهِ وسلَّمَ .

تمت

قال العبد الفقير إلى الله ورحمته ، المقرُّ بذنبه ، المعترفُ بخطيئته أبو الحسن على بن الحسن بن عبد الله بن الحسين بن عمر بن عبد الرحمن ابن عقيل العطاس باعلوى ، عفا الله عنه وعن والديه ومحبيه : فرغت من إملاء هذه الوصية عشية الثلاثاء لسبع عشرة من شهر المحرّم الحرام سنة خمس وخمسين ومائة وألف من الهجرة ، وسميتها :

« العطيّة المنيَّة ، والوصيَّة المرضيَّة » لذوى القلوب النقيَّة ، تقبلها الله ونفع بها ، وجعلها خالصة لوجهه الكريم ، إنه ولىُّ ذلك والقادر عليه ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

ويليه « خلاصة المغنم » للمؤلف رضى الله عنه .


زاوية العيدروس العلمية
بحوطة آل أبي علوي بتريم